المحاضرة الثانية

ظهور الشخصيات الوطنية وبداية تطور مرحلة الكفاح التحرري في جنوب إفريقيا

لقد أفرزت مرحلة كفاح أبناء جنوب إفريقيا ضد المستعمرين الأوروبيين بعض الشخصيات الوطنية من ابناء الطبقة العامة لتلك القبائل و ليس من الزعماء، و أبرز مثال على ذلك شخصية الزعيم الشعبي "ماكانا" من وسط أبناء قبائل الكسوسا الغربية و الذي أدرك حقيقة أهداف البوير و الانكليز، و هي الاستيلاء على الأراضي الخصبة و ابادة السكان الأصليين، و أن الوحدة بين أبناء جنوب افريقيا هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن أبناء جنوب افرقيا من الوقوف في وجه طموحات هؤلاء الأوروبيين، لذلك دعا إلى قيام الوحدة بين جميع قبائل الكسوسا الغربية و اعتبر نفسه – أي ماكانا – نبيا مرسلا من الكائن الأعلى للقيام بمهمة طرد البيض من جنوب افريقيا.

بدأ ماكان نشاطه بالتخلص من بعض زعماء الموالين لحكومة مستعمرة الكاب مثل الزعيم "انجكيكو" فانتصر عليه في معركة " أما ليندي" الواقعة بالقرب من مدينة " أيسلندن" الحالية، لن القوات البريطانية قامت في عام ١٨١٨م بعبور نهر "جريت فش" الذي يكون الحدود الشرقية لمستمرة الكاب و أزاحت قوات ماكانا من المقاطعة و تبنوا مركز انجكيكر و استولوا على ٢٣ ألف رأس من البقر. و بعد انسحاب القوات البريطانية من الاقليم قام ماكانا بالهجوم مرة أخرى على انجكيكو و عبرت قواته نهر جريت فش و توغلت داخل حدود مستعمرة الكاب، و في ٢٣ نيسان عام ١٨١٩ هاجم مدينة "جريمستون" بقوة قدرها عشرة ألاف مقاتل من أتباعه، لكنهم اضطروا إلى الانسحاب تحت ضغط القوات البريطانية التي قامت في خلال ثلاثة شهور باحتلال جميع الاراضي الواقعة بين نهري جريت فشن وكي و قتلت أعدادا كبيرة من السكان الأصليين و احرقت القرى و استولت على المواشي ووقع الزعيم ماكانا في الأسر و تم نفيه إلى جزيرة روبين و حكمت عليه محكمة الكاب بالسجن مدى الحياة.

و في ٩ تموز ١٨٢٠ قاد ماكانا تمردا داخل السجن و تمكن المتمردين من قتل حراس السجن و الاستيلاء على أسلحتهم و ركبوا زورقا للهروب من الجزيرة إلى سواحل جنوب افريقيا، الا أنهم حوصروا من قبل جنود مستعمرة الكاب فألقوا بأنفسهم في البحر و غرق ماكانا بينما نجا عدد من اتباعه، و لا يزال شعب جنوب افريقيا يتغنى باسم هذا البطل القومي حتى الوقت الحاضر.

كان على أبناء جنوب أفرقيا أن يدركوا حقيقة السياسة الأوروبية في جنوب افريقيا لكي يتمكنوا من تنظيم عملية الكفاح ضد الغزاة الأوروبيين، لكن التباين في المستوى الحضاري بين شعوب جنوب افريقيا و المحتلين الأوروبيين حال دون ادراك تلك الحقيقة ، و مع ذلك فقد تفهم أهداف و طموحات الأوروبيين بعض زعماء قبائل جنوب افريقيا مثل زعيم قبيلة ماتابيل المدو " لو بينجول، فعندما أراد سيل رودس خداعه من أجل السيطرة على مناجم الذهب،

١- دعا هذا الزعيم الأفريقي إلى طاولة المفاوضات خصوم سيل رودوس و منافسه في هدف الاستيلاء على مناخم الذهب و هم الألمان و البرتغاليين.

٢- كما أرسل أثنين من خيرة مساعديه إلى لندن لمقابلة الملكة فكتوريا و التماسها لتحد من نشاطات سيل رودس المعادية لقبيلته.

٣- كما استغل التناقضات بين الدول الأوروبية في جنوب افريقيا زعماء آخرون أشهرهم الزعيم موشيش رئيس قبائل الباسوتو، فقد استغل موشيش لفترة زمنية طويلة التناقضات بين البوير و الأنكليز حتى تمكن من تحقيق بعض النجاحات لصالح شعبه على حساب مصالح البوير و الأنكليز في جنوب أفريقيا، و من أبرز تلك النجاحات و اهمها أنه لم يفقد رأسه و لم ينف إلى جزيرة روبين كما حصل بالنسبة لمصير الكثير من زعماء القبائل في جنوب افريقيا، اذ أنه تمسك بالسلام بصورة دائمة في علاقته مع الإنكليز و البوير، و من أقواله المأثورة:

السلام يعني المطر الذي يسبب الخصب و الكلأ، أما الحرب فهي الرياح الجافة التي تحرق الأعشاب و الأشجار و قد نجح في مفاوضاته مع الجنرال الأنكليزي " كيت كيرت" قائد القوات البريطانية في مستعمرة الكاب، عندما أكد على السلام و أوضح له ان السلام شئ ضروري و مفيد للأنكليز و للشعوب الأفريقية كافة.

و الدليل الآخر على نجاح موشيش في سياسته أن بلاده لم تتحولى الى مستعمرة بريطانية و لم تدمج في مستعمرة الكاب بل انها ظلت محمية بريطانية و لم تفقد هويتها القومية و تسمى في الوقت الحاضر دولة ليوتو.

و نتيجة لمسيرة الكفاح الطويل و المرير ضد الأوروبيين فقد تطورت بسرعة في وسط أبناء قبائل جنوب أفريقيا فكرة توحيد تلك القبائل و أبرز مثال على ذلك مشروع توحيد البانتو من أجل تحقيق النصر الحاسم ضد المستعمرين الأوروبيين، و من هذا المنطلق فقد وجه الزعيم موشيش الدعوة إلى زعماء قبائل جنوب أفريقيا طالبا منهم نسيان الخلافات و العداوات القديمة و أن يكونوا جبهة واحدة ضد عدوهم المشترك المستعمر الأوروبي . كما دعا إلى هذا الهدف الزعيم لوبينجول عندما حاول أقامة علاقة طيبة مع عدوه القديم كخامو و هو من زعماء قبائل الباسوتو المشهورين.

قائمة باهم المصادر والمراجع:

– عبد الحميد(بطريق، عبد العزيز أنوار): التاريخ الأوروبي الحديث، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٥،

– يحي(بوعزبز): الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية.

– جلال (يحي): تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ١٩٩٩ م،

– محمد فاضل(على الباري)، سعيد(إبراهيم كردية): المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م،

– محمد السيد(سليم): تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط٢ ، دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٤ م

–فيصل (محمد موسى): موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بلا مكان، ١٩٩٧ م

– شوقي (عطا الله الجمل)، عبد الرزاق(ابراهيم عبد الله): تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع والمطبوعات، مصر، ٢٠٠٠ م،

– شوقي عطا الله(الجمل)وآخرون: الموسوعة الإفريقية، م٢ ، اليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ١٩٩٧ ،

– محمد بن ناصر (العبودي): أيام في النيجر، لبنان، ١٩٩٤ م،.

–عبد الله عبد الرزاق(إبراهيم): المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الكويت ١٩٨٩ م،

– فيج–حي–دي: تاريخ إفريقيا، تر: دار السيد يوسف نصر، دار المعارف، بلا مكان ١٩٨٢ م،

- رعد مجيد (العاني): تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، بلا مكان، ٢٠٠٧ م،

– جفري (برون): تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بلا مكان، ٢٠٠٦ م،

- عبد الله عبد الرازق (إبراهيم)، شوقي (الجمل): دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر، ١٩٩٨ م،

- مصطفى (الخالدي)، عمر (فزوغ): التبشير والاستعمار في البلاد العربي، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٥٣م،

– –Mnguni–three hundred year history of south Africa vo:1 Cape town. 1952.P.14.